أضواء على الخمسينات السورية

عبد النبي اصطيف

تقديم :

يشير الدكتور حسام الخطيب في دراسته الممتازة عن نهوض القصة القصيرة في الخمسينات السورية الى ان هذه الفترة ولا سيما السنوات الثماني الاولى منها كانت « مسرحا لتطورات ملموسة على المستويات السياسية والاجتماعية والتعليمية والثقافية والادبية . وكان **الجانب الادبي من هذه التطورات خصبا متنوعا** . ولولا ان القطر العربي السوري كان في هذه الفترة يخوض تجارب سياسية مثيرة وخلابة ومؤثرة في الحياة اليومية للناس ، **لأمكن اعتبار التطورات التي اتسمت بها الحياة الادبية سمة المرحلة وعلاقتها المميزة . ان الغنى السياسي والاجتماعي والثقافي لهذه المرحلة لم يتم ابرازه بعد في الدراسات القليلة جدا** التي كتبت عن سورية الحديثة باللغة العربية ، وعلى اي حال فان الكتاب المحدودين عددا الذين تطرقوا بشكل مباشر او غير مباشر الى الحديث عن مرحلة الخمسينات اجمعوا على اعتبار الحرب العالمية الثانية حدا فاصلا بين عهدين من عهود الادب في سورية واعتبروا عهد ما بعد الحرب

العالمية الثانية مختلفا أشد الاختلاف في خصائصه الادبية عن مرحلة ما قبل الحرب . ونحن ــ وان كنا نعتبر هذا التحديد العريض مؤيدا لوجهة النظر التي يقدمها هذا البحث ــ نفضل ، حرصا على الدقة ، ان نعتبر مطلع الخمسينات الحد الفاصل بين عهد النهضة الادبية القائمة على احتذاء البنى التقليدية وبين عهد النهضة المتطلعة الى التغيير الجذري »(١) .

على الرغم من غنى الحياة الادبية في الخمسينات السورية ، والخصب والتنوع الذي شهدتهما في تلك الفترة ، ورغم ضرورة ابراز هذه الملامح والقاء الاضواء عليها ، فان من المؤسف ان يشير المرء الى ان هذه الفترة ما زال يلفها ثوب من الغموض .

لقد ظهر مؤخرا عدد من الدراسات التي تتفاوت في مستواها وعمق معالجتها وجديتها . وقد ساهمت هذه الدراسات على نحو ما في القاء بعض الاضواء على جوانب من هذه الحياة الفنية المتنوعة . فعالج بعضها نهوض القصة القصيرة السورية كما هو الشأن في دراسة الدكتور الخطيب القيمة(٢) ، وتناول بعضها الآخر(٣) قيام عدد من التجمعات الادبية « **كرابطة الكتاب السوريين** » « **ورابطة الكتاب العرب** » . كما ان التطورات النقدية والفعالية النقدية لبعض نقادها وروابطها قد ظفرت ببعض الاهتمام فظهر عنها عدد من الدراسات لنبيل سليمان(٤) وحنا عبود(٥) . ولكن من المبالغة القول انها استطاعت ان تجلو هذا الغموض الذي ما زال يلفها .

ورغم تأكيد المرء على أهمية القيام بدراسة هذه الفترة ، وعلى قيمة ما يمكن لدراسة كهذه أن تساهم به في شرح التطورات الادبية في العقود الاخيرة ، الا انه من جهة اخرى على وعي تام بالصعوبات التي يمكن ان تكتنف القيام بمشروع كهذا .

ان هذه الصعوبات لا تقتصر على استحالة الحصول على المادة اللازمة لدراسة كهذه ، هذه المادة التي توازعتها عشرات الدوريات التي ضاع أغلبها ؛ او التي لا يمكن . في بعض الاحيان ــ توفر مجموعة كاملة منها

في مكان واحد ؛ او انعدام وجود اية بيبليوغرافيا شاملة لما صدر فيها من كتب ومؤلفات ؛ او عدم توفر اية دراسات سياسية او اجتماعية او ثقافية مساعدة ، بل انها تشمل صعوبة الاحاطات بمجملة المؤثرات الثقافية الخارجية التي كان لها دور بارز في جوانب من هذه النهضة وفي توجيهها وتشكيلها . فليس هنالك على سبيل المثال اي ثبت بالكتب المترجمة عن اللغات الاخرى والتي صدرت في سوريا او لبنان او وصلت اليهما . وكذلك فليس ثمة من مصادر يمكن ان تساعد المرء في رصد الاحداث الثقافية كالمحاضرات والندوات والزيارات التي يمكن ان يكون قد قام بها ادباء او مفكرون من الاقطار العربية الاخرى او من البلدان الاجنبية شرقيها وغربيها . وبالطبع فان المرء يمكن ان يشير الى صعوبات اخرى (٦) ، ولكن ليس هذا موضع الحديث عنها . انني اود ان اشير الى مصدر **هام ومتوفر الى حين** ، وهو الاشخاص الذين ساهموا في هذه الحركة لانهم ثروة لايمكن الاستغناء عنها في دراسة الفترة . ان هؤلاء الادباء والمفكرين والكتاب يمكن ان يشكلوا مصدرا ذا اهمية ثري في استشراف آفاق جديدة في هذه المرحلة ، لانهم يمكن ان يقدموا الوقائع التي احاطت بالتطورات التي شهدتها الفترة ، والمفاتيح التي يمكن أن تساعد على كشف بعض الجوانب الغامضة فيها . ان بعض هؤلاء الادباء مازال يساهم في مختلف جوانب النشاطات الادبية الراهنة (٧) ، في حين آثر بعضهم الصمت منذ زمن(٨) ، ولكنهم يشتركون جميعا في عدم التنبه الى ضرورة الحديث عن هذه السنوات . وبالطبع فان امرا كهذا لا ينتظر ، لاننا ربما نقول اليوم او غدا او بعد غد ، لقد كانوا بالامس بيننا ، وهيهات عندها . انني اود أن أوجهها دعوة مفتوحة الى جميع من القى بسهم في الحياة الادبية في الخمسينات السورية او في الفترة التي سبقتها ، ليفتحوا جعبتهم وينشروا ما فيها على الناس ؛ والى جميع المهتمين بالادب العربي الحديث ان يذهبوا الى هؤلاء وان يتحدثوا معهم ويحاوروهم ، ثم ليذيعوا مايخرجون به على الناس .

والسطور التي تلي والتي اضعها بين يدي القارىء العربي هي حصيلة حواري مع احد المساهمين في الحركة الادبية السورية في الخمسينات وهو

الاستاذ شحادة الخوري ، أردتها مساهمة متواضعة ربما استطاعت أن تلقي بعض الاضواء على تلك الفترة . واخيرا اود الاشارة الى ان هـذه الحصيلة ـ التي دونتها من خلال لقاءات عدة كانت لي معه في دمشق في صيف عام ١٩٧٨ ، وعدة رسائل تلقيتها منه في اوقات متفاوته خـلال الشهور الماضية ـ قد عرضت عليه قبل النشر في الصورة التي اضعها بين يدي القارىء .

هوامش

(١) د. حسام الخطيب ، « نهوض القصة القصيرة في الخمسينات السورية » المعرفة (دمشق) ، نيسان ، ١٩٧٦ ، العدد ١٧٠ ، ص ٣٢ ـ ٣٣ .

(٢) نشرت دراسة الدكتور الخطيب المذكورة اعلاه في المعرفة في ثلاثة اعداد متوالية هي : الاعداد ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، في نيسان ، ايار ، حزيران ١٩٧٦ . وللدكتور الخطيب اسهاماته المعروفة في هذا المجال .

(٣) انظر : عادل ابوشنب ، « التكتلات الادبية في سورية » (١) و (٢) في المعرفة (دمشق) ، العددين ١٨٨ و ١٨٩ ، تشرين الاول وتشرين الثاني ١٩٧٧ ، ص ١٧٩ ـ ١٨٢ وص ١٢٤ ـ ١٣٠ .

(٤) نشر الاستاذ نبيل سليمان عدة فصول عن الحركة النقدية في الخمسينات في ملحق الثورة الثقافي ، الموقف الادبي ودراسات عربية ، وهي فيما يبدو اجزاء من كتاب قيدالطبع كما علمت من بعض الاصدقاء .

(٥) انظر : حنا عبود ، تاريخ المدرسة الواقعية في النقد العربي الحديث ، دمشق ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، ١٩٧٨ .

(٦) من اجل دراسة مفصلة وقيمة لبعض المشكلات المتعلقة بدراسة الادب العربي الحديث انظر : الخطيب ، د. حسام .

* « بعض المشكلات العملية للبحث في الادب العربي الحديث » المعرفة ، العدد ٢١١ ، ايلول ، ١٩٧٩ ص ٧٦ ـ ٨٧ .

* « المشكلات الخاصة بدراسة الادب العربي الحديث » المعرفة ، العدد ٢١٢ ، تشرين الاول ١٩٧٩ ، ص ٣٨ ـ ٥٢ .

(٧) كجلال فاروق الشريف ، عادل ابوشنب ، حنا مينة ، صلاح دهني ، عدنان الذهبي ، عبد السلام العجيلي ، واخرين وربما كان عادل ابوشنب الوحيد من بينهم في اهتمامه بالمرحلة ومحاولته الاسهام في دراسة جوانب منها .

(٨) كليان ديراني وآخرين .

حوار مع شحادة الخوري

ع. اصطيف : لا يعرف دارسو الادب العربي الحديث عامة ، ودارسو فترة الخمسينات السورية خاصة ، الا القليل عن مؤلف « الادب في الميدان » و « فصول في الادب والاجتماع والتربية والحياة العامة » وغيرهما ، على الرغم من النشاطات الادبية والاجتماعية والسياسية التي كانت له ؛ والدور العام الذي لعبته مؤلفاته ومقالاته في قيام التجمعات الادبية في سوريا والوطن العربي في تلك الفترة ـ والذي لايمكن لاي دارس منصف انيغفله. وقد لاتكون حياة الاديب او الناقد وتكوينهما الثقافي ونشاطاتهما المختلفة ذات شان في تقويم نتاجهما وتقدير الدور الذي يمكن ان يكونا قد لعباه في الحياة الادبية للمجتمع الذي مارسا فيه نشاطهما الثقافي ، ولكن يبدو لي ان هذه الامور الجانبية يمكن لها ان تغني فهمنا للظروف التي احاطت بهذا النشاط ، ويمكن لها كذلك ان تعمق تحليلنا للنتاج الادبي والنقدي في الوقت ذاته . فهل لك ان تعطي القارىء العربي لمحة عن حياتك ونشاطك الثقافي وخاصة في فترة الخمسينات .

شحاده الخوري : ولدت فيالاول من كانون الاول عام ١٩٢٢ فيبلدة صيدنايا قرب دمشق ، وهي بلدة حبتها الطبيعة بموقع فريد ، وتكتنفها الجبال من ثلاث جهات وتطل على سهل اخضر فسيح ، كما انها بلدة تاريخية سكنها الانسان منذ العصور القديمة ، ويرتفع على احد تلالها دير كبير بناه الامبراطور البيزنطي المشهور يوستنيانوس في منتصف القرن الخامس الميلادي .

قضيت طفولتي في صيدنايا ، ودرست في المدرسة الابتدائية الرسمية فيها اربع سنوات ، وحملت طباع سكانها المعروفين بالرصانة والجد والدأب. وعندما بلغت الثانية عشرة قصدت دمشق حيث اكملت دراستي الاعدادية والثانوية في المدرسة التجهيزية الارثوذكسية (الاسية) ، وهي مدرسة تقع في حي الاسية في القيمرية المحاذي لباب توما ، وقد عرفت هذه المدرسة بخدمة العلم والثقافة اكثر من قرن ونصف وبنزعتها العربية واتجاهها الوطني التقدمي . وقد امتدت دراستي فيها سبع سنوات نلت

في نهايتها شهادة الدراسة الثانوية السورية القسم الاول ، وشهادة الدراسة الثانوية الفرنسية القسم الاول عام ١٩٤٢ .

وبعدئذ انتقلت الى التجهيز الاولى بدمشق (ثانوية جودة الهاشمي حاليا) حيث انتسبت لصف الشهادة الثانوية القسم الثاني « فلسفة » خلال العام الدراسي ١٩٤٢ ـ ١٩٤٣ ولم انجح في امتحان نهاية العام لانصرافي الى المشاركة الفعالة في حركات التظاهر الطلابية ضد السلطات الفرنسية.

ومع بدء العام الدراسي ١٩٤٣ ـ ١٩٤٤ عملت مدرسا ومديراً في مدرسة قطنا الاورثوذكسية وهي مدرسة ابتدائية واعدادية معا ، ولبثت فيها مدة سنتين ، ثم عملت بعدها سنتين مدرسا في اعدادية الاسية للبنات بدمشق ، وخلال هذه السنوات الاربع حصلت على شهادة الدراسة الثانوية القسم الثاني « فلسفة » وعلى شهادة الحقوق من الجامعة السورية .

وفي مطلع السنة الدراسية ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ نجحت في مسابقة انتقاء المدرسين بمادة التاريخ والتربية الوطنية التي اجرتها وزارة التربية وعينت في مدينة حلب حيث لبثت سنتين ثم انتقلت الى مدينة دمشق . وفي دمشق درست اللغة العربية وادابها في الثانويات الرسمية وفي الثانويات الخاصة ولاسيما المدرسة التجهيزية الاورثوذكسية (الاسية) حتى نهاية عام ١٩٥٨ .

وخلال هذه الفترة انتهيت من دراستي في قسم اللغة العربية وادابها في كلية الاداب بجامعة دمشق ، واشتركت بتاسيس « **رابطة الكتاب السوريين** » ثم « **رابطة الكتاب العرب** » .

ع. اصطيف : ما هي الكتب التي اصدرتها منذ الاربعينات وحتى اليوم ؟

شحادة الخوري : اصدرت كتابا « **حول المراة** » بالاشتراك مع الزميل نجيب جمال الدين (١٩٤٧) ، ثم كتاب « **تاريخ الامة العربية في الجاهلية وحتى اليوم وتاريخ المخترعات** » بالاشتراك مع الزميل عبد الفتاح محبك

عام ١٩٤٩ ، وكتاب « **الادب في الميدان** » عام ١٩٥٠ ، وترجمت رواية « **الحرس الفتي** » لفادييف بالاشتراك مع القاص اليان ديراني في عامي ١٩٥٤ و ١٩٥٥ ، واصدرت كتاب « **فصول في الادب والتربية والحياة العامة والاجتماع** » عام ١٩٥٦ ، كما نشرت الى جانب ذلك عشرات من الدراسات والمقالات التي تتناول موضوعات تتصل بالقومية والادب والاجتماع والتربية الخ .

ع. اصطيف : بقي ان تحدثنا عن مشاركتك في الحياة السياسية والاجتماعية ، وعن الاعمال المختلفة التي قمت بها والتي تظن انها ذات صلة بكتاباتك ، او كان لها اثر من نوع ما في هذه الكتابات .

شحادة الخوري : لقد شاركت في الكفاح ضد سلطات الانتداب الفرنسي بالتظاهر الطلابي كما ذكرت من قبل . كما انني شاركت في « لجنة نصرة العراق » ابان الحرب العالمية الثانية . وقد لوحقت في عهد حسني الزعيم بسبب نشاطي اليساري التقدمي ، وقدمت للمحاكمة في عهد اديب الشيشكلي . وبعد ذلك بسنوات سرحت من وزارة التربية بسبب حل الاحزاب وملاحقة العناصر التقدمية .

وفي الفترة مابين ١٩٦٠ و ١٩٦٩ عملت في « وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل » رئيسا لدائرة التسجيل التعاوني ثم دائرة التدريب التعاوني، ثم مديرا للعلاقات الدولية ثم مديرا للتخطيط ، ثم مديرا لانعاش الريف، وخلال هذه السنوات التسع عملت بالوكالة فترة ، ثم سرحت في زمن حكومة معروف الدواليبي ، وبعدها اعدت الى ملاك وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل . وقد بذلت كل جهد لتطوير مشروع الصناعات الريفية وجعله مشروعا انتاجيا بعد ان كان مشروع تدريب فقط .
وفي عام ١٩٦٩ انتقلت الى « وزارة التعليم العالي » ومازلت فيها حتى الان مديرا للترجمة والنشر ، وقد سعيت وما ازال اسعى لانجاح مشروع الوزارة الرامي الى ترجمة امهات الكتب العلمية كيما تكون مراجع مفيدة باللغة العربية للاساتذة والطلاب الجامعيين .

أما في الحقل الاجتماعي والثقافي ، فقد انتخبت عضوا ثم امينا للمجلس المحلي الاورثوذكسي البطريركي بدمشق في دورتين الاولى ١٩٥٤ ــ ١٩٥٨، والثانية ١٩٦٥ ــ ١٩٦٩ . واسهمت بنشاط في اعمال هذا المجلس ضمن الاطار الوطني التقدمي . وكنت عضوا في اتحاد الكتاب العرب منذ تأسيسه حتى عام ١٩٧٨ ، وعضوا في جمعية المكتبات والوثائق في القطر منذ تأسيسها حتى الان ورئيسا لها مدة سنتين ١٩٧٥ و ١٩٧٦ .

ع. اصطيف : هل لك ان تذكر بايجاز العوامل التي ساهمت في تكوينك الثقافي وخاصة في فترة الخمسينات ؟

ليس رأي ان افصل في هذا المجال في تكويني الثقافي حتى اواخر الخمسينات، ولعلي افعل ذلك في فرصة اخرى اذا دعا الامر . وخلاصة القول انني في ذلك الحين كنت قد قرأت الكثير من الادب العربي والفرنسي وتأثرت في مراحل متعاقبة بجبران خليل جبران ثم نيتشه ثم الادبيات ذات الوجهة الاشتراكية وغوركي بوجه خاص .

الادب في الميدان

ع. اصطيف : ننتقل الى كتابك « الادب في الميدان » . هل تعتقد ان لهذا الكتاب ــ الذي نشرت فصول منه في المجلات المختلفة كـ « الحديث » وغيرها ، قبل جمعها في مؤلف واحد ــ اي في الحفر على انشاء تجمع ادبي لايقوم على الاهتمام بالادب وحده ، بل على الوعي باهداف فكرية وسياسية واجتماعية يمكن للادب ان يحققها ؟

شحادة الخوري : اعتقد انه كان له بعض الاثر . ولكن من المغالاة والخطأ القول ان هذا الاثر كان الباعث الوحيد على انشاء التجمع الادبي الذي دعي **«رابطة الكتاب السوريين»** واصبح فيما بعد **«رابطة الكتاب العرب»** بل هو احد البواعث . ولايمكن لنا ان نغفل اثر الاديب الكبير الاستاذ المرحوم عمر فاخوري ، ولاسيما من حيث تهيئة الاذهان ، وتحريك الافكار وتوجيهها الى جعل الادب في « السوق » اي في خدمة الشعب .

ثم ان التكتل ظاهرة طبيعية جدا في تلك الفترة من الزمن والتي تميزت باليقظة العامة لدى مختلف الفئات والجماهير ، فكيف لايحرص الكتاب على جمع كلمتهم لتكون واسعة الصدى وقوية الاثر .

ع. اصطيف : تحمل في كتابك حملة شعواء على الوجودية . ومن خلال قراءة المرء لما كتبت ولغيره ، ولوعيه بالجو الذي رافق المعارك الادبية والفكرية والسياسية احيانا بين انصار التيار القومي وبين بعض اليساريين في الخمسينات ، يشعر ان ثمة هوامش يمكن انتضاف هنا . فهل كانت هناك من علاقة على سبيل المثال بين تبني التيار القومي للوجودية كايديولوجية في الميدان الادبي وبين هجومك عليها ؟ وماهي المصادر التي اعتمدت عليها في عرضك لافكار الوجودية وفي نقدك لها ؟

شحادة الخوري : لا اذكر بالضبط المصادر التي طالعتها عن الوجودية . ولكني اذكر انني قرات ماترجم منها وعنها في تلك الفترة ، ووجدت فيها تيارا لا يخدم الحركة الوطنية الشعبية ، وكتبت عنها بقناعة تامة مستندا الى اراء الماركسيين عنها . واعتقد ان تبني التيار القومي لها كان خطأ اذ لايأتلف معها ، ولاتخدم اغراضه الا اذا كان قد وجد فيها بديلا عن الفكر الماركسي .. علما بانني كنت ومازلت اعتقد ان الماركسية ـ والفكر الاشتراكي عامة ـ لاتناقض القومية بمفهومها المعاصر ذي المضمون الشعبي التحرري .

ع. اصطيف : هل اعتمدت في كتابك « الادب في الميدان » على مصادر اخرى اضافة الى كتابي :

ـ انيس المقدسي : العوامل الفعالة في الادب العربي الحديث .

ـ نجيب جمال الدين : مطران شاعر العصر .

شحادة الخوري : لقد كتبت « الادب في الميدان » حصيلة مطالعات شتى وتفكير متسق . الا انني لم اوثق المعلومات التي وردت فيه ، ولم ادرج اسماء المراجع التي اعتمدت عليها .

اما كتاب « **مطران شاعر العصر** » فأعتقد انه صدر بعد كتابي بفترة .

ع. اصطيف : انت تدعو في كتابك « الادب في الميدان » الى ادب جديد موجه وموجه معا. هل تعتقد ان للنقد الادبي دورا معينا في دفع الاتجاه نحو هذا الادب ؟

شحادة الخوري : ان للنقد الادبي دورا رئيسيا في دفع الادب نحو الادب الملتزم . اذ ان النقد لايعنى فقط بتقويم الاسلوب بل يلقي الضوء على المضمون . وعندما نقول : « ادب » فذلك يعني ان ثمة اسلوبا يتميز بالرشاقة والجمال والرقة والبراعة .. والا فلا حديث عن ادب .. ان مايميز ادبا عن ادب هو مضمونه وغايته وموضوعه . ولكن ليس ثمة من ادب ملتزم ــ او غير ملتزم حتى ــ دون شكل يحقق الجمال ويتميز بالابداع .

ع. اصطيف : هل تعتقد ان ثمة قصورا من جانب النقد الادبي في سوريا في مواكبة النتاج الادبي المعاصر له ، سواء بمراجعته ونقده من جهة ، ام بتوجيهه نحو وجهة معينة ومساعدته على تطوير نفسه من الناحية الفكرية والفنية معا ؟

شحادة الخوري : ان النقد الادبي في سورية كان ومازال قاصرا . ومرجع ذلك عدم توفر متخصصين ؛ يتوفرون على مواكبة الانتاج الادبيودراسته وتوجيهه من جهة ، والنظرة السائدة التي تعتبره اقل شانا من الادب ذاتــه .

رابطة الكتاب السوريين

ع. اصطيف : طغى المد اليساري في الثلاثينات والاربعينات في هذا القرن على الساحة الفكرية والادبية في الولايات المتحدة الامريكية ، واوربا الغربية ، وتم حسم النقاش الذي دار بين أنصار الواقعية الاشتراكية وبين انصار المدرسة الشكلية الروسية منذ نهاية العشرينات وبداية الثلاثينات في الاتحاد السوفييتي لصالح الفريق الاول بشكل نهائي . هل كان لهذا الجو الثقافي أي تاثير على التفكير في انشاء الروابط الادبية اليسارية في بداية الخمسينات ولاسيما « رابطة الكتاب السوريين » و « رابطة الكتاب العرب » ؟

شحادة الخوري: لقد كان للمد اليساري، ان صح هذا التعبير ، الذي بدأ منذ منتصف الحرب العالمية الثانية في بعض الاقطار العربية ، والحريات النسبية التي تحققت في الفترة التي اعقبت الحرب مباشرة في سوريا ، دورفعال في انشاء الرابطة . ثم ان الجو الفكري في الاتحاد السوفييتي وانتصار الاشتراكية في بلدان عدة ، واليقظة العمالية في البلدان الراسمالية وتنبه الشعوب المستعمرة الى المطالبة بحريتها واستقلالها ، كل ذلكاوجد المناخ الملائم لنشوء الرابطة التي تعتبر احدى ظواهر اليقظة الوطنية التحررية وليست الظاهرة الوحيدة آنذاك .

ع. اصطيف : عمن انبثقت فكرة انشاء الرابطة ، وهل كانت مرتبطة باي تجمع سياسي او تنظيم حزبي ؟

شحادة الخوري : يصعب علي تحديد عمن انبثقت فكرة انشاء الرابطة ، اذ ليس الموضوع مبادرة فرد ، بل هي تلاقي افكار واتجاهات . جاء في بيان الرابطة ما يلي « هذه اشياء تعيش في صدورنا منذ عهد بعيد ، ولم يكن ينقصها الا ان تتلاقى بعض الايدي ببعض في مصافحة واحدة قوية ، وان تسند الكلمة اختها فتصبح فكرة جديدة جديرة ان تفتح عينيها للنور وتعيش .ان فكرة التكتل الفكري ليست حادثة لا سابقة لها ... »(١) .

اذن يصح القول ان الرابطة هي تلاق وتكتل بين كتاب تجمعهم وحدة الهدف ، وهو ان يقدموا ادبا معافى سليما ويضعوا اقلامهم في خدمة الشعب .

ان الرابطة لم تكن تنظيما سياسيا او مرتبطة بتنظيم سياسي بمعنى أن ما كان يجمع بين اعضائها ليس الانتماء السياسي لاحد الاحزاب ، بل وحدة الفكر والهدف . وكذلك فانها لم تكن تتلقى اوامر او توجيهات من

---

(١) من اجل النص الكامل لبيان رابطة الكتاب السوريين انظر :
عادل ابو شنب ، صفحات مجهولة في تاريخ القصة السورية ، دمشق ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، ١٩٧٤ ، ص ١٥٨ ـ ١٦٥ .

حزب سياسي معين، ولكنها كانت تنظيما أدبيا يستند على أهداف محددة في بيانه : خدمة الامة ، الالتزام في الادب ، التقدم ، الحرية ... وبالتالي وبالنظر الى هذه الاهداف بالذات كان ثمة تعاطف وتعاون بينها وبين الاحزاب والفئات التقدمية الاخرى .

وقد فسر هـذا التعاون والتعاطف على انهما ارتباط وانتماء ، وحلت الرابطة على هذا الاساس وصودرت كتبها واثاثها وأغلق مقرها في الحملة على الشيوعيين عام ١٩٥٩ .

ع. اصطيف : متى تم انعقاد الاجتماع التاسيسي للرابطة ؟ وأين ؟ وكم استغرق :

شحادة الخوري : بالنسبة للاجتماع التأسيسي لرابطة الكتاب السوريين لا أذكر اليوم الذي عقد فيه ، الا ان ذلك كان في عام ١٩٥٠ . والمكان ايضا انا لست متأكدا منه . وان كانت الاجتماعات الاولى قد عقدت في منزل الاستاذين مواهب وحسيب الكيالي في حي السبكي بدمشق . وبعـد الاجتماعات التمهيدية صدر بيان رابطة الكتاب السوريين في ١٩٥١/١١/١٥ وقعه كل من : ليان ديراني ، مواهب كيالي ، حنا مينه ، سعيد حورانية، غسان الرفاعي ، صلاح دهني ، نبيه عاقـل ، انطون حمصي ، ممدوح فاخوري ، حسيب كيالي وشوقي بغدادي . فهؤلاء هم الاعضاء المؤسسون ثم انضم اليهم آخرون .

ومما جاء في البيان المذكور :

« نحن كتاب تقدميون بكل ما في الكلمة من خصب ، تقدميون لاننا نستهدف ابدا أن نمشي الى امام حيث يتلامح هدفنا . اننا نؤمن بأمتنا ، ونؤمن بأننا نستطيع خدمتها ، واننا لن نكون كتابا اذا لم نعش حياة امتنا . ان هدفنا هو أن نعمل للشعب لاننا منه ، ولان الفن الصحيح هو الفن الذي ينبع من حياة المجموعة . ان الآثار العظيمة الباقية هي الآثار التي غيرت وجه الحياة فأغنتها واكسبتها اشياء صالحة جديدة ، لم يعد هناك — كما يقول بعضهم — من فن للفن — ولا من زهر للزهر . ان الفن هو

للناس، كما أن الزهر هو للعيون التي تراه والانوف التي تشمه ، والزهرة لا تكون جميلة الا اذا استطاعت أن تؤدي لي شيئا يتصل بذاتي ، وخدمة تحسن حياتي . نحن من القائلين بأن الفن هو تعبير جميل عن الحياة . ولكن التعبير لايكون جميلا اذا لم يعبر عن الحياة الحقة ، حياة المجموعة .

ع. اصطيف : هل كانت « رابطة الكتاب السوريين » في رايكم ردا على « عصبة الساخرين »؟ وانكم حملتم عليها في كتابكم « الادب في الميدان » ؟

شحادة الخوري : لم تكن « رابطة الكتاب السوريين » ردا على « عصبة الساخرين » بصورة مباشرة ، ولكنها جاءت لترسم الطريق الصحيح في الفكر والادب . ان السخرية كانت وسيلة يمكن أن تكون عندئذ اسلوبا ناجحا في نقد الجانب المهترىء من حياة الفرد والمجتمع ، ولكنها عندما تصبح طريقة تفكير وكتابة الى حد تصير معه غاية فانها تغدو عبثا لا طائل منه .

لقد كان حسيب كيالي من « عصبة الساخرين » ، ثم صار عضوا رئيسيا في الرابطة ، ولئن كان في اسلوبه سخرية ، فقد صارت سخرية هادفة قصدها : نقد السيء لبناء الجديد المعافى .

انني حملت على السخرية في كتاب « الادب في الميدان » لا من حيث هي اسلوب نقدي ، بل من حيث هي عبث وهراء وذلك لتمكين الادب الجاد الملتزم .

ع. اصطيف : ما هو الكتاب الذي كانت تصدره الرابطة وكان يشار اليه ب « كتاب الرابطة » ؟ وكم عددا اصدر منه قبل مؤتمر الكتاب العرب وبعده ؟

شحادة الخوري : كان « كتاب الرابطة » التي كانت تصدره « رابطة الكتاب السوريين » عبارة عن كتاب لاحد أعضائها ، ولم تكن هذه الكتب في موضوع واحد ، بل كان كل كتاب في موضوع ، فمنها الرواية ، ومنها القصة ، ومنها النقد ، ومنها السينما .... وقد بلغ عدد هذه الكتب فيما اذكر خمسة وثلاثين كتابا بين عامي ١٩٥١ و ١٩٥٨ .

وكان أعضاء الرابطة عندما ينشر احدهم مقالة أو دراسة أو قصيدة أو قصة أو اي نتاج ادبي يوقع اسمه تحتها ، ويذكر انه من رابطة الكتاب السوريين وذلك كيما يرسخ في اذهان القراء اسم هذه الرابطة مقترنا باسم أعضائها .

ع. اصطيف : من كان امين الرابطة ، ومتى حلت ؟

شحادة الخوري : كان أمين الرابطة الاستاذ مواهب الكيالي ، ثم تلاه شوقي بغدادي وبعده جاء ليان ديراني ، وقد حلت في مطلع ١٩٥٩ .

ع. اصطيف : هل ثمة علاقة بين « أسرة الجبل الملهم » التي ظهرت في الخمسينات في لبنان و « رابطة الكتاب السوريين » ؟

شحادة الخوري : لا ، لم يكن هنالك اية علاقة .

ع. اصطيف : وماذا عن رابطة

(Poets, Playwrighters, Editors, Essayists and Novelists) PEN

هل كان للرابطة السورية اية علاقة بها ؟

شحادة الخوري : لا ، لم يكن ثمة اية علاقة البتة لرابطتنا بها .

أصداء

ع. اصطيف : يستطيع المتتبع للحركة الادبية الراهنة ان يلاحظ اهتماما متزايدا بمرحلة الخمسينات . وقد تعددت في السنوات الاخيرة الاشارات الى رابطة الكتاب السوريين ، ورابطة الكتاب العرب ، والى صاحب « الادب في الميدان » . وبالطبع فان المجال لا يتسع هنا لمناقشة جميع ما كتب في هذا الموضوع . الا اننا يمكن من جهة اخرى ان نتوقف عند آخر دراسة نشرت حول كتابك ظهرت اولا على شكل مقالة ، ثم ضمت الى غيرها وظهرت في كتاب تحت عنوان : المدرسة الواقعية في النقد العربي الحديث(٢) ، لمؤلفه حنا عبود .

---

(٢) دمشق ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، ١٩٧٨ .

لعلك قرات ما كتبه عنك . واظن ان لديك ما تقوله هنا ، خاصة وان تقديمه لكتابك جاء ضمن سياق محدد هو ما سماه بتاريخ المدرسة الواقعية في النقد العربي الحديث ، ومن المفروض ان يكون على قدر معقول من النضج والاتساق .

شحادة الخوري : لقد قرات ما كتبه السيد حنا عبود عن كتابي وعن « رابطة الكتاب السوريين » و « رابطة الكتاب العرب » ولي بالفعل بعض التحفظات واليك بعضها :

يقول الكاتب « واظن ان تشدد الكاتب في احكامه الفردية والادبية لايبرأ من تهمة مشاكسة الاوضاع القائمة في ذلك الوقت » .

ان استعمال تعبير « مشاكسة » يثير العجب . قد يكون صحيحا ان يقول « معارضة » الاوضاع القائمة او رفضها .

ويقول في موضوع آخر « فهل فاته ان كل زملاء شوبنهور من فلاسفة الالمان ينتمون الى الطبقة الثرية ، ومع ذلك لم يكونوا مثله تشاؤما ، وهل فاته مالأم شوبنهور وابيه وطفولته ومدرسته من اثر في تشاؤمه ؟ »
ان تعليل التشاؤم كما اوردته في كتاب « الادب في الميدان » يرجع الى الواقع الاقتصادي والاجتماعي والطبقي . ولا يقف افراد الطبقة جميعهم موقفا واحدا ، فالقضية قضية موقف وليست قضية فقر او غنى . فقد يقف فقير مع الاثرياء . المسألة مسألة نظرة اجتماعية وتطلع واقعي ومستقبلي . ان شوبنهور يمثل فئة كانت تخشى التطور الاجتماعي وقد لا يجاريه في ذلك جميع المفكرين في عصره الذين ينتمون الى طبقته . اما التعليل على اساس قضايا شخصية فقد يكون لها اثر ما ولكنه محدود . . لقد كان ابو العلاء متشائما في حين ان طه حسين لم يكن كذلك ، وكلاهما اعمى .

وفي مكان آخر ينتقد السيد حنا عبود الاحكام المتشددة في « الادب في الميدان » . ولكن كيف يتفق الالتزام بقضية الشعب والحرية والتقدم مع التهادن والتسيب والضياع !!!

انني عندما ارفض أن ينغمس الاديب في اهوائه او أن يجري وراء تخيلاته، فانني لا اقصد الاهواء الفردية البناءة التي تخدم قضية الانسان عامة ، ولا التخيلات الابداعية التي هي من مصادر الفن . بل قصدت الاهواء الفردية الخالصة المتولدة عن الانانية والتخيلات الوهميـــة التي لا طائل وراءها .. ان تفسير السيد حنا عبود لما قصدته بكلامي كان تفسيرا خاطئا دون شك .

اما دفاع السيد حنا عبود عن ميخائيل نعيمة « الصوفي الحلولي » فامر عجيب . بالطبع انا لم اقصد رفض كل ما كتبه نعيمة ، بل رفض ما نأى فيه عن الواقع والحياة والناس وراح فيه جاريا وراء تخيلاتـــه ورؤاه الخادعة الكاذبـــة .

ان نعيمة ينعى مدينة الغرب . والحقيقة انه لا يصح أن ندين الحضارة الغربية ذاتها . ان ذلك يعني ايثار البدائية ، فالحضارة الغربية نصر للانسان والعقل ، ولكن النظام الاقتصادي ــ الاجتماعي القائم في الغرب يجعل من هذه المدينة شرا وحملا ثقيـــلا على الانسان .. ان السيارة والطائرة والطاقة جملة ليست شرا بذاتها الا اذا استخدمها الانسان للاضرار بأخيه الانســان .

هذه ملاحظات لابد منها ، مع العلم بأن السيد عبود قد أجاد في عرض الافكار الرئيسية التي يشتمل عليها كتاب « الادب في الميدان » اجادة ظاهرة .

ع. اصطيف : اذا انتهينا من ملاحظاتك على الفصل الذي خصك به ، فاننا يمكن ان ننتقل الى ما كتبه عن « رابطة الكتاب السوريين » و « رابطة الكتاب العرب » .

لقد كنت عضوا مؤسسا في كلتا الرابطتين ، وانا اريد ان اسمع رايك الداخلي «Insider» بما كتبه السيد حنا عبود عن الرابطتين . وكل ما ارجوه الا يكون ذلك مثيرا لشجون قديمة عفاها الزمن .

شحادة الخوري : ربما كانت وقفتي هنا اطول ، لان الامر يتعلق بزملاء آخرين شاركوني المسيرة نفسها ، ولذلك اسمح لي أن ارافقه في حديثه

عن الرابطتين ، حتى اذا وجدت نقصا اكملته او ثغرة سددتها ، او حاجة لتعليق اوردته ، او رايا يستدعي التصحيح والتقويم عمدت الى تصحيحه وتقويمه ، مستندا في ذلك الى ذكرياتي عن تلك المرحلة الهامة التي عشتها مع رفاق جعلوا من اقلامهم عدة كفاح وسلاح معركة ، وحاولوا ان يكونوا روادا يعبرون عن آلام الشعب وآماله ، وعن ـ رغباته ومطامحه ولاسيما الطبقة العاملة منه ، هذه الطبقة التي كانت آنذاك تعاني ما تعاني من فقر وجهل وظلم واهمال من الطبقة الاقطاعية التي كانت تملك الارض والمال والسلطة ، ومن البورجوازية الناشئة المتحالفة معها .

يرجع السيد حنا عبود ـ في بداية فصله ـ نشوء الادب والنقد الواقعي عقب الحرب العالمية الثانية الى النهوض السياسي آنذاك والى الحركة الوطنية وتحقيق الاستقلال والى تأثير الادب الواقعي العالمي .

لقد جاء في بيان الرابطة الذي اصدرته اللجنة التحضيرية في ١٩٥١/١١/١٥ ما يلي :

« نحن كتاب تقدميون بكل ما في هذه الكلمة من خصب » .. « اننا نؤمن بأمتنا ونؤمن بأننا نستطيع خدمتها واننا لن نكون كتابا اذا لم نعش حياة امتنا . ان هدفنا هو ان نعمل للشعب لاننا منه ولان الفن الصحيح هو الفن الذي ينبع من حياة المجموعة » .

لقد اردنا أن نرسم هدفا لنا نسعى اليه ابدا ، فما وجدنا انبل ولا اغنى من هاتين الكلمتين : الحرية والسلام ، اذ تلخصان قصة الانسانية المجهدة التي تعمل لعالم افضل .

هذه هي الدوافع التي يؤكدها اصحابها دون غمغمة او مواربة . ان للدوافع الداخلية والخارجية تأثيرا لا ينكر ، ولكن الدافع الحاسم هو ايمان افراد الرابطة بأن لهم قضية يجب ان يكتبوا ويجندوا اقلامهم ويجمعوا كلمتهم من اجلها : قضية امة ، شعب ، تقدم ، حرية وسلام .

كذلك عندما يعدد الكاتب اسماء اعضاء الرابطة يغفل اسم الاستاذ مواهب كيالي . لقد كان مواهب من الاعضاء المؤسسين وهو كاتب قد وقصاص بارع واديب قدير ، تولى امانة الرابطة في المرحلة الاولى

العسيرة ، فهل يصح اغفال اسمه عندما نؤرخ للرابطة ؟! في هذه الامور لايصح نسيان أو تناس .

وهو يقول في معرض حديثه عن الرابطة انها ظلت « تلقى الاهمال ان لم نقل الرفض الى ان استطاعت ان تقدم بعض الاثار الادبية ... ورغم ذلك كانت التقولات والشائعات تنتشر حول الرابطة » ... هكذا .

ان الرابطة حين تأسست لم تكن تنتظر الترحيب الحار من السلطة الاقطاعية ـ الراسمالية التي كانت تمسك بزمام الحكم ، ولا كانت تتشوق الى مفكري الرجعية والجمود الذين كانوا ينعمون بالسيطرة على مواقع القوة ويهيمنون على منابر الفكر والصحافة ، بل كانت تعرف انها صوت جديد ، وانها ستواجه العداء والرفض ، وان عليها ان تشق الدرب بالجهد .

ولذلك اعتقد أن عبارة « كانت تلقى الاهمال » ليست دقيقة البتة ولاسيما ماتلاها من قول .. الى ان استطاعت ان تقدم بعض الاثار الادبية .

أقول ان اعضاء الرابطة لم يجتمعوا ليصبحوا كتابا ، بل هم كتاب اجتمعوا حول هدف ... انني عند تأسيس الرابطة كان لي كتابان : « حول المرأة » نشرته عام ١٩٤٧ ، و « الادب في الميدان » عام ١٩٥٠ . وكان ليان ديراني قصاصا ومترجما معروفا ، وكان مواهب كيالي وأخوه حسيب كاتبين بارعين ، وكذلك قل عن الاخرين : عبد المعين الملوحي وشوقي بغدادي ونصوح فاخوري وسعيد حورانية وحنا مينه وصلاح دهني وبقية الاعضاء ....

ويقول السيد حنا عبود : « ان الرابطة ظلت تخوض المعارك الفكرية والادبية متشددة في أحكامها لتقف في وجه خصومها . وقد صمدت على الرغم من اقليميتها » .

انني أحار بالفعل في تعليل ايراده لكلمة « متشددة » فهل كان يتوقع أن يتنازل أعضاء الرابطة عن آرائهم ومعتقداتهم اذا لقوا خصما أو

واجهوا معارضا . وهل التمسك بالراي والموقف يحتمل التقلب أو التهاون او المداهنة ؟

اما الاقليمية فلم تكن صفة للرابطة في اية مرحلة من مراحل عملها . لقد تأسست في سورية العربية . ولم يكن باستطاعتها ان تتأسس على نطاق عربي في وقت كانت تعقد فيه اجتماعاتها في اقبية دمشق ويأتي اعضاؤها الى الاجتماع كل من طريق او شارع او منفذ يتفق عليه كيلا يلفت حضورهم معا او سيرهم في طريق واحد نظر رجال الامن . فاذا اتخذت اسم « السوريين » فليس هذا اقليمية او تنكرا للعروبة ، بل تسمية لواقع . والدليل على ذلك انه عندما سنحت لها الفرصة لتنطلق الى الوطن العربي لم تتردد لحظة ، وعقدت مؤتمرها الاول وسمت نفسها بـ « رابطة الكتاب العرب » .

اما الملاحظة الاخيرة لي فهي على تقويم السيد حنا عبود لموقف الرابطة من القيم الفنية ، ومع اشارته الى مقررات مؤتمر الكتاب العرب .

يقول السيد عبود : « وقد ادى هذا التشدد الى اهمال العنصر الجمالي والقيم الفنية اهمالا ملحوظا ، وان لم يكن اهمالا كاملا ، والى التركيز على الناحيتين الاجتماعية والسياسية ، والالحاح على القوانين الموضوعية ، كما في مقررات رابطة الكتاب العرب التي جاءت تكثيفا لاحكام كتاب « الادب في الميدان » .

ان الكاتب يحاول أن يقيم تعارضا بين الالتزام والفن . فالادب الملتزم الهادف ، الذي يبتغي خدمة « قضية » لابد أن يقصر في « جماليته » . وهذا ليس صحيحا الا اذا كانت « الجمالية » تتعارض مع مضمون ادبي حقيقي . ان المضمون والشكل في نظر الواقعية ، وفي نظر اعضاء الرابطة ، عنصران متكاملان ، لاينفصل احدهما عن الاخر . اذا وجد مضمون بلا جمالية فلا ادب ، واذا وجدت جمالية بلا مضمون كان الادب زخارف جوفاء خادعة . ان الكاتب ينطلق من فرضية خاطئة .

اما ان تكون مقررات الرابطة في مؤتمرها الكبير الذي عقد عام ١٩٥٤ ، تكثيفا لاحكام كتاب « الادب في الميدان » وانها تتسم بصفة « القوانين

الموضوعية » فلا ادري اذا كان قد أراد بذلك مدحا لها أم ذما ولكني أعتقد أنه قصد التشدد في الاحكام ، والموضوعية مقابل الذاتية .

وعلى أي حال ، لقد كانت مقررات الرابطة أوسع شمولا وأغنى محتوى من أن تكون تكثيفا لاحكام كتاب « الادب في الميدان » وان كان يسعدني بالطبع أن كان لهذا الكتاب تأثير ما ــ قليلا كان أم كثيرا . على مقررات الرابطة المتخذة في مؤتمرها .